

جامعة وهران -1- أحمد بن بلة

* كلية الآداب والفنون *

" قسم الفنون "

الأستاذة: مليكة عثمان

مادة: سيميولوجيا الفيلم

دروس في سيميولوجيا الفيلم

سنة أولى ماستر (تخصّص نقد سينماتوغرافي)

السنة الجامعية: 2019-2020

السداسي الثاني

I-مدخل إلى سيميولوجيا الفيلم :

I.1- الفيلم بوصفه لغة:

لم تكن الانطلاقة الحقيقية لدراسة الفيلم بوصفه لغة مع ظهور سيميولوجيا السينما في ستينيات القرن

الماضي؛ إنّما سبقتها دراسات اهتمت باللّغة السينماتوغرافية ومثّل هذه الدّراسات: لويس دوليك

« L.Delluc » و جارمان ديلاك « G.Dulak » وجون إبستاين « J.Epstein »

عولجت مواضيع تلك الدّراسات لاحقا من قبل نظريات الفينومينولوجيا الممتّلة في أربيرت لافاي

« A.Laffay » وإدغار مورين « E.Morin » وسبقهم في الدّراسة السينمائيون والمنظرون الرّوس ليف

كوليشوف « L. Kuleschov » وفيسلفلود بودوفكين « V. Pudovkin » وسارجي إزينشتاين

« S.Eisenstein » الذين بدأوا في إبراز الآليات الخاصة بالفيلم بوصفه نظاما دالاً.

ففي كتاب جون ميتري « *J.Mitry* »؛ محاولة واضحة بالفعل لدى إيزينشتاين، إذ أخذ مجمل خطابه النظري بعين الاعتبار لتوليف هذين المشروعين.

يعد المقال الذي كتبه كريستيان ميتز « *C. Metz* » " *Le Cinéma: Langue ou langage ?* " الذي صدر في عدد خاص بمجلة " *Communications* " سنة 1964 بداية جديدة للتأسيس

لسيميولوجيا السينما؛ إذ أتى بتصوّر جديد جذريا: مفردات ومبادئ تحليل الفيلم وصرامة فكرية استوحاها من اللسانيات البنوية؛ فاتحا بذلك المجال لتحليل الأسنان السينماتوغرافية ووظائفها داخل الأفلام والأنواع الخاصة؛ ثم اعتمد فيما بعد على التحليل النفسي تأثرا بلاكان « *Lacan* »

قام ميتز بدراسة اللغة السينماتوغرافية من منظور سيميائي، جاءت هذه الدراسات بشكل حصري وصفية، غير معيارية واختزالية، تتحرّر حتى من الأسنان التي وضعت أساسا لتوضّح اللغة السينماتوغرافية. مثّلت سيميولوجيا ميتز مشروعاً يسعى للبحث في أسنن تسمح للمتفرّج فهم الفيلم وتتبعه إمّا بطريقة واعية أم غير واعية قواعد اللسان التي تسمح للأفراد فهم الكلام وفي هذا السياق يبدو التأثير واضحا بعالم اللسانيات فرديناند دوسوسير « *F. De Saussure* » .

II - دور السنن في إنتاج الدلالة الفيلمية:

عرّف ميتز السنن بوصفه نظام مراسلات وانحرافات وضع ليعمل عدّة مرّات ويبقى مطابقا لنفسه عبر عدّة رسائل؛ وهذا ما يجعل من لفظة نظام كلا متماسكا ومتكاملا؛ يؤمن ميتز إيمانا مطلقا أنّ السنن نظام يفرض الترتيب الخطي للنص؛ ينضاف إلى ذلك مجموعة العناصر التي يمكن تمريرها في كل لحظة عقب السلسلة الاستيطرادية.

لا يستطيع الفيلم أن يوصل معنى للمتفرّج ولا تتسق الرّسالة إلا إذا امتثلت لقواعد السنن؛ وهذا لا يعني أنّ كل رسالة فيلمية يجب أن تستعمل السنن بشكل مكثّف؛ وإنّما تركز السيميولوجيا وتؤكد على فكرة أنّ

مختلف النَّصوص يجب أن تكون متصلة مع مجموع العلائق – مثلما هو الوضع في اللسانيات البنوية- وهذا الاتصال يمنح للمعنى نظامه.

يخضع الفيلم إلى ضرورتين:

- يجب أن يخضع كل فيلم لمبادئ التَّسنين أو نظام يسبقه.

- يجب أن يكون المشاهد قادرا على فكِّ سنن الرِّسالة باعتماد السنن نفسه، أو بعبارة أخرى:

يجب على السِّيميائيين أن يبرهنوا أنّ نظام القواعد (كلّ متماسك ومتكامل) يعمل في السِّينما،

لإثبات صحّة السنن والتصوّر الجوهرى للطبيعة المنهجية للعلامات السينماتوغرافية.

III - مقارنة سينما-لسانيات:

انصب تحليل الأفلام اعتمادا على مفاهيم ومناهج السيميولوجيا واللسانيات وتمثّلت هذه المفاهيم في

الأسنن والرِّسالة والسنن الفرعي والجملة والعبارة والأنموذج والدلالة والإشارة والصياغة والرّمز

والأيقونة والمؤشر والتضمين والتقرير وغيرها من العناصر التي تستعمل في التحليل.

طرحت البحوث التي تناولت سيميولوجيا السِّينما أنّ السِّينما ليست لغة؛ ولاحتى اسبرنتو لكنّها تحوي

كمّا هائلا من العلامات الأيقونية والرّمزية والمؤشرات فهي متعدّدة الأسنن (حتى لو قام عمل النظريات

المونتاجية للسِّينما على أنموذج بناء سينمائي، وكذلك التّدوين التّقليدي لحركة جهاز الكاميرا).

- المستوى المحدّد للتَّسنين الذي تشكّله الأنظمة الدّالة الخاصة بالفيلم والمشاركة بين

جميع الأفلام؛ وبعبارة أخرى يمكن القول أيضا "السِّينما على هذا النحو" ليس لها

تعبير ثانوي. ففي الصورة السينمائية؛ الدّال في علاقة تشابه مع مدلوله.

- مفهوم اللّغة السينمائية منهجي: مجموع كل ما يقال في جميع الأفلام، وكذلك جميع

الأنظمة المهمّة التي تؤدي دورها في فهم فيلم كامل (إدراكي، فكري، أيقوني،

إيديولوجي...); باختصار تمثّل السِّينما لدى كريستيان ميتز ظاهرة أكبر بكثير، حيث

تشكّل اللّغة السّينمائية طبقة واحدة فقط من بين طبقات أخرى.

- من المستحيل تحديد الصورة بوصفها كلمة، والمشهد بجملة؛ فالصورة السينمائية تعادل جملة واحدة أو أكثر، ويعادل المشهد مقطع معقد من الخطاب.

- عدد الصور التي يمكن إنتاجها في السينما غير محدّد؛ وبالتالي، فإنّ اللّقطة لا يمكن مقارنتها بكلمة المعجم؛ بل بملفوظ.

- السرد السينمائي يتمّ تنظيمه من خلال قيود البنى النحوية الكبيرة.

- يمكننا أن نميّز في شريط الصّور، الألفاظ الزمنية المتوازية أو في الأقواس والتسلسل الزمني أو الوصفي أو السردية (بالتناوب أو بالخطية).

يوصف علم السّينما بأنّه نظام لايزال شابًا، وهو مدين للسانيات بأساليبه (التبديل والقطع والتمميزات المادّة والشكل).

IV-مقالات وكتب مؤسسة لسيميولوجيا السّينما :

أفادت مقالات وكتب للتأسيس لسيميولوجيا السّينما أوردها كالاتي:

IV 1- مقالات وكتب كريستيان ميتر:

Le cinéma : Langue ou langage ?

صدر هذا المقال في عام 1964 في دار النشر : Communications

ثمّ كتب مجلدين:

صدر المجلد الأوّل:

Essais sur la signification au cinéma

في عام 1968؛ وصدر المجلد الثاني سنة 1973.

Langage et cinéma (1971).

Essais sur la signification au cinéma (1968-1972).

Trucage et cinéma (1973).

Le signifiant imaginaire (1977).

Essais sémiotiques (1977).

L'Enonciation impersonnelle, ou le Site du film (1991).

ترجمت أعمال كريستيان ميتز إلى أكثر من عشرين لغة لأهميتها في التأسيس لسيميولوجيا السينما. أسس ميتز وطور سيميولوجيا السينما ما بين 1965 و1985 وساهم في توضيح مفاهيم مثل تلك الخاصة بنظام وسنن وتضمين وتقرير أو استعارة وكناية.

انتقدت أعمال كريستيان ميتز من قبل جان ميتري في كتابه « La sémiologie en question » وانتقده بشدة ج. ف. تارنوفسكي «J.F. Tarnowski» وذلك في العام 1987، في مجلة "Positif".

ينضاف إلى اجتهادات ميتز إسهامات أمبرتو إيكو "U. Eco" سيما في:

« La Structure absente » (La Struttura assente, 1968).

IV. 2- إسهامات أمبرتو إيكو:

يعد كتاب البنية الغائبة لأمبرتو إيكو كتاب ضخم مكوّن من 448 صفحة؛ مليءً بالاقتباسات والملاحظات والمراجع.

تطرق في كتابه إلى مفاهيم حول السيميوطيقا مع الشرح المفصّل والموضّح للعلائق بين نظرية الإعلام واللّغة، وتحدّث أيضا عن سيميولوجيا فرديناند دوسوسير وعن ثنائية الدّال والمدلول، وأشار إلى ثلاثية بيرس: علامة/ موضوع/ مؤول مبيّن كل الالتباسات لهذه المصطلحات؛ وينتهي بتأمل فلسفي حول مفهوم اللّغة؛ وتنفيذ ما يوسمه بالبنوية الوجودية لكلود ليفي ستروس.

لم ينس أمبرتو إيكو وبخلاف العديد من فلاسفة اللّغة أن يشير إلى أنّ هذه اللّغة موجودة فقط لأنّها تنبعث أو تستقبل عبر العمليات النّفسية للمرسل والمستقبل؛ مانحا أهمية لمفاهيم الشكل الجيد للنّظرية الجاشتالتيّة (نظرية الشكل) والدّروس التّجريبية للسانيات النّفسية.

وكان أيضا لمؤلف: (1969) P. Wollen "Signs and Meaning in the Cinema"

دورا مهما في النّهوض بسيميولوجيا السّينما والفيلم بطبيعة الحال.

IV. 3- إسهامات "بيتر وولن":

تطرق "بيتر وولن" في كتابه "العلامات والمعنى في السّينما" إلى النّطور الملحوظ الذي سجّله الدّراسات المهمّة بسيميولوجيا السّينما في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي؛ بحيث استطاعت أن تحل إشكال النّقد السّينماتوغرافي وجماليات السّينما بإخضاعهما لعلم العلامات العام.

تحدّث "وولن" أيضا في كتابه عن النّظريات الكلاسيكية للغة الفيلم وقواعد الفيلم التي بدأت تتزايد بشكل عفوي على مدار الأعوام؛ إذ يجب أن يتمّ فحصها وأن ترتبط بتخصّص اللسانيات الثابت.

وإذا كان لمفهوم اللّغة – وفق تصريحاته- أن يستخدم فلا بدّ من استخدامه علميا وليس مجرد استعارة فضفاضة.

شكّلت المناظرة التي نشأت في فرنسا وإيطاليا حول عمل رولان بارت وكريستيان ميتز وبيير باولو بازولوني وامبرتو إيكو خطوة نحو هذا الاتجاه.

صرّح "ولن" أنّ الدافع الرئيس وراء عمل هؤلاء النقاد والسيميائيين ينبع من كتاب فرديناند دوسوسير "دروس في اللسانيات العامة"؛ وتطرق إلى المقولة التي تنبأ فيها دوسوسير بنشأة السيميولوجيا؛ وبيّن في مؤلفه التآثر الواضح لدوسوسير بعالم الاجتماع إميل دوركايم (1858-1917) ولذلك عرّف السيميولوجيا بأنّها "العلم الذي يقوم بدراسة العلامة في حضان الحياة الاجتماعية"؛ كما تطرّق إلى الطبيعة الاعتبارية للعلامة (The arbitrary nature of the sign). ناقش "ولن" كل الأفكار التي وردت في مقولة دوسوسير بإسهاب؛ ورأى أنّ كل وسيلة تعبير مستخدمة في المجتمع تقوم من حيث المبدأ، على السلوك أو ما يرتقي إلى الاتفاقية القائمة على الشيء نفسه.

أعطى "ولن" مثلاً عن الصيغ المهذّبة المشربة غالباً بالتعبير الطبيعي (مثل أشكال التّحية عند الصينيين)؛ وصرّح أنّ هذا التعبير هو الثابت بحكم القاعدة وليس بحكم القيمة الجوهرية للإيماءات التي تلزم المرء باستخدامها.

أسهم "ج. ميتري" «J. Mitry» بمؤلفاته النّقديّة في تطوير سيميولوجيا السّينما أهمّها الكتاب الآتي:

"Esthétique et psychologie du cinéma" (1963-1965)

IV 3.- إسهامات جون ميتري:

عشق جون ميتري السّينما وكرّس حياته من أجلها؛ ففي قلب أي نظرية نقديّة تكمن تجربة جوهرية يظل الناقد مخلصاً لها في أعماق قلبه.

نشر كتاب ميتري «Esthétique et psychologie du cinéma» في المرّة الأولى في عام 1963 ونشرت الطبعة الثانية في عام 1965.

يعدّ هذا الكتاب وصفا ودفاعا عن نوع معيّن من السينما؛ فهو نوع مهمّ ولكن بالتأكيد ليس النوع الوحيد. تطرّق ميتري في المحور التمهيدي إلى: السينما والإبداع والسينما واللّغة والكلمة والصورة؛ وتضمّن المحور الثاني الموسوم بصورة الفيلم: الصورة نفسها وبنى الصورة؛ أمّا المحور الثالث: الإيقاع والمونتاج فشمل: بدايات المونتاج والإيقاع السينمائي وسيكولوجيا المونتاج. تضمّن المحور الرابع الموسوم ب: إيقاع ولقطات متحركة: الكاميرا المحرّرة وعمق المجال والكلام والصوت؛ أمّا المحور الخامس والأخير: زمن وفضاء الدراما فتضمّن: في البحث عن بنية درامية ومضمون وشكل.

نلاحظ من خلال قراءتنا لكتاب ميتري أنّه وافق بين العناصر التاريخية واللّسانية والسيكولوجية والجمالية والسيكولوجية والتقنية للسينما ووفق فيما أخفق فيه كريستيان ميتز. ولا يفوتنا أن ننوّه بمؤلفات « G. Bettetini » و « E.Garroni » والقائمة طويلة...

للتعمق في سيميولوجيا الفيلم حاولوا الاطلاع على الكتب والمقالات الآتية:

- J. Mitry, Esthétique et psychologie du cinéma, Vol. 2 : « Les Formes », Paris, Éditions Universitaires, 1965
- C. Metz, Le signifiant imaginaire : psychanalyse et cinéma, Paris, Union Générale d'Éditions de Paris, 1977.
- C. Metz, « Le cinéma : langue ou langage ?», dans Communications, No 4, 1964.
- J. Mitry, « D'un langage sans signes », dans Revue d'Esthétique, Été 1967.
- P. Sandro, "Signification in the Cinéma", dans Diacritics, 4:3, Fall 1974.
- G. Durand, L'imaginaire symbolique, Paris, Presses Universitaires de France, 2e édition, 1968
- C.Metz, Langage et cinéma, 1977.
- I. Lotman, Esthétique et sémiotique du cinéma, 1977.
- J. Mitry, La Sémiologie en question ; Langage et cinéma, 1987.
- M. Joly, L'image et les signes ,2017.
- N. Samlak, Le Personnage et la Lisibilité ; sémiotique au cinéma ,2018.
- J. Courtés, La sémiotique du langage (2007)
- F. Casetti, Les théories du cinéma depuis 1945,2015.
- J. Kermabon , Les théories du cinéma aujourd'hui ,1988.
- A. de Baecque et P. Chevallier, Dictionnaire de la pensée du cinéma ,2016.
- Y. Guglielmetti ,Silence, bruit et musique au cinéma ,2020.

